مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 12 / العـدد: 02 (2024)، ص: 608-619

فواعل الرحلة وتفاعلاتها النصيّة عند الرحالة ابن بطوطة

The elements of the journey and its textual interactions according to the traveler Ibn Battuta

بن شاعة جلول [1]، djelloulbenchaa1@gmail.com

فتحي بوخالفة [2]، fethiBOUKHALFA28@gmail.com

[2 1] مخبر الشعرية الجزائرية جامعة محمد بوضياف (المسيلة)

تاريخ الاستلام: 2024/03/28 تاريخ القبول: 2024/05/14 تاريخ النشر: 2024/06/01

ملخص:

كانت حياة الإنسان مشدودة إلى السفر والترحال، من منطلق البحث عن لقمة العيش، أو اللجوء السياسي القسري، أو المغامرة لأجل إثبات الذات، ليأخذ السفر والترحال، بعد ذلك، منحى جديدا يحقّق من خلاله المسافر وجوده وكينونته، ويؤطر طبيعة علاقته بالآخر (الإنسان أو المكان)، ثم سرعان ما يتحوّل الترحال عند صاحبه إلى حالة وجودية ينشدها في مكان واقعي، أو يُحمل على اصطناع عالمه في الحلم والمتوهّم، أو تشكيله عبر المتخيّل، ثم لا يلبث السفر أن يغدوَ شكلا تعبيريا، يمثّل لديه أسلوب حياة، وفلسفة جمال، وجنسا أدبيا مكتمل الأدبية، مستقل الشعرية.

ولعل ابن بطوطة كان أكثر حرصا على اصطناع هذا العالم الرِحْلي؛ لتحديد جوهر وجوده، ، ومن هنا، كانت الرحلة من أهم مصادر المعرفة، التي تبنى على المشاهدة والمراقبة إلى أن تنتهي إلى التدوين.

الكلمات المفتاحية: الرحلة، بن بطوطة، تفاعل، النصية.

Abstract

Human life was tied to travel and wandering, from the standpoint of searching for a living, forced political asylum, or adventure in order to prove oneself. Travel and travel then took a new

direction through which the traveler realized his existence and being, and framed the nature of his relationship with the other (the person or the place). Then travel quickly turns for its owner into a state of existence that he seeks in a real place, or he is forced to fabricate his world in a dream or imagination, or shape it through the imagination. Then travel soon becomes an expressive form, representing for him a way of life, a philosophy of beauty, and a literary genre. Complete literary, independent poetic.

Perhaps Ibn Battuta was more keen on creating this nomadic world. To determine the essence of his existence, and from here, the journey was one of the most important sources of knowledge, which is built on observation and observation until it ends in blogging.

Keywords: journey, Ibn Battuta, interaction, textuality.

***المؤلف المرسل:** بن شاعة جلول

1- تجربة الرحلة عند ابن بطوطة:

يقدم ابن بطوطة في رحلته المشهورة تجربة شخصية مثيرة تنبئ عن قلق إنساني دائب البحث والكشف عن ممكنات ليست في المتناول، فكأنّما أراد لحياته أن تتحوّل إلى حيوات متعدّدة، في أمكنة متفرّقة. ومع ما يقرّ به من أنّ التحوّل عن المكان الأم ليس بالأمر الهيّن، إلاّ أنّ نداء المغامرة كان أقوى من كلّ الاعتبارات الأخرى، الأمر الذي يؤكد تجذّر روح المغامرة لديه (مظلوم، 2006)

2- بواعث الرحلة وفواعلها:

لقد استغرقت رحلة ابن بطوطة حوالي ثلاثين عاماً، قضاها متنقلاً بين البلدان والأمصار، وبدأ إملاء رحلته، بمجرّد استقراره بمدينة (فاس)، في كنف الدولة المرينية، وهي رحلة مرتبة ترتيباً تصاعدياً، من نقطة البدء (الانطلاق من طنجة) حتى عودته إلى وطنه.

ويمكن أن نوجز البواعث التي حملت (ابن بطوطة) على القيام برحلته في الآتي:

أ- **باعث ديني**: بأداء فريضة الحج، وزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم). ولعلّ هذا الباعث كان من أشهر البواعث التي تحمل الرحّالة المسلمين، وخاصة: رحّالة بلاد المغرب والأندلس إلى تدوين الرحلة، وهو الباعث الأول المفترض لرحلة (ابن بطوطة).

ب- **باعث ذاتي**: وهو حافز تولّد في أثناء رحلة الحجّ، وربما تأخذ الرحلة شكلا مغايرا، خاصة عند الكلام عن رحلات المغاربة، إذ كثيرا ما يتوقف المغاربة في مصر خلال طريقهم إلى الحج أو في أثناء عودتهم منه، فتكون فرصةً لوصف مشاهداتهم، وتسجيل أحوال البلاد والعباد. وقد توؤد الرحلة في مصر؛ كونها مركزا ثقافيا، ومقصدا لكل طلبة العلم، مما يغري الكثير منهم بالاستقرار فيها، وربما تغيّر مصير الواحد منهم بزواجه؛ "فلا يغيّر مصير الإنسان إلاّ امرأة" (الغيطاني، 2011)

أما مع الرحالة (ابن بطوطة)، ففكرة مواصلة الرحلة قد تمّت عند دخوله مصر، وبإيحاء من العالم الزاهد (برهان الدين الأعرج)، الذي كان قد لقيه (ابن بطوطة) في الإسكندرية. ويروي الرحالة لنا هذا اللقاء:

"دخلت عليه [برهان الدين] يوماً، فقال لي: أراك تحب السياحة والجولان في البلاد. فقلت له: نعم، إني أحب ذلك. ولم يكن حينئذٍ بخاطري التوغّل في البلاد القاصية من الهند والصين. فقال: لا بدّ لك - إن شاء الله - من زيارة أخي "فريد الدين" بالهند، وأخي "ركن الدين زكريا" بالسند، وأخي "برهان الدين" بالصين. فإذا بلغتَهم، فأبلغهم مني السلام. فعجبت من قوله، وألقى في روعي التوجّه إلى تلك البلاد، ولم أزل أجول حتى لقيت الثلاثة، الذين ذكرهم، وأبلغتهم سلامه" (مظلوم، 2006، صفحة 24)

ج- **باعث مغامراتي**: وهو امتداد أصيل للباعث الذاتي، وهذا الحافز النفسي، نجده قويا عند ابن بطوطة، حيث انبثق عنده - كما يذكر ذلك في رحلته - عن "رؤيا" رآها، فقام بعرضها على الشيخ الصوفي "عبد الله المرشديّ"، فكان تأويل رؤياه: أنّه "سوف تحجّ، وتزور النبي (صلى الله عليه وسلم)، وتتجوّل في بلاد اليمن والعراق وبلاد الترك، وتبقى بها مدة طويلة، وستلقى بها (دلشاد الهندي)، وسيخلّصك من شدة تقع فيها" (مظلوم، 2006، صفحة 28)

3- المناحي النفسية في الرحلة:

وإلى جانب هذه البواعث المحفزة، نجد استعدادات قوية أخرى قد أسهمت في إنجاز فعل الرحلة، تكشفها شخصية الرحالة في تفاعلها مع موضوعة "السفر"، وعبر مناحي نفسية متداخلة:

أ- منحى تذكري استرجاعي: نقصد به ما عاينه (ابن بطوطة) بأمّ عينه، ولعلّه الجانب الأهم في رحلته، كونه هو الذي يترجم ما ورد في عنوان الكتاب من غرائب الأمصار، فضلا عن أنّه ينفرد - أو يكاد - في ذكر معظم ما ذكره مما شاهده.

ومن الملاحظ أنّ (ابن بطوطة) يسرد الأخبار بطريقة توحي بيقينه التام بصحتها، وأنّه كان لا يعرج إلى الأخبار المشبوهة، إذا ما عاين الصورة بالرغم من أنّها تدخل في إطار العجائب.. وإذا شكّ في خبر من الأخبار يطبعه بطابع "الزعم".

ب- منحى صوفي كشفي: وهو ما نجده في الرحلة من جوانب تكاد تكون غيبية، اعتمد عليها (ابن بطوطة) لإضفاء شرعية على رحلته، ولعلّنا نشير في هذا المقام إلى قصّته مع أحد علماء الإسكندرية وزهّادها، وهو: برهان الدين الأعرج، ومكاشفته له بأنّه سوف يطوف، بعد الحج، في مناطق قاصية من الهند والصين، وسوف يصادف أشخاصا يعرفهم الشيخ، فطلب منه أن يبلّغهم سلامه..، وقد حدث ما قال.. وهكذا، تكون رحلة (ابن بطوطة) تحقيقا لمكاشفة هذا المتصوّف، واستجابة دفينة في نفس ابن بطوطة ، كشف عنها هذا الصوفي.. لتشبّعه بالروحانيات، واعتقاده في الكرامات.

ومن المهمّ الإشارة إلى بعد صوفيّ في رحلة ابن بطوطة، وإن بدا متخفّيا، ذلك الذي رصده (لسان الدين بن الخطيب) في كتابه: "الإحاطة في أخبار غرناطة"، عندما رسم صورة معبّرة لهذا الرحالة المغامر: "هذا رجل لديه مشاركة يسيرة في الطلب.. وكانت رحلته على رسم الصوفية زيّا وسجيّة" (الخطيب، 1424)

ج- منحى إخباري إحالي: تعد الأساطير والخرافات في رحلة (ابن بطوطة) من أهمّ المواد المؤسسة لحبكتها، فهي، إلى جانب كثرتها وتنوّعها، تمتاز بحسن السرد، وترتبط ارتباطا عضويا بالأماكن التي يزورها، ويتّضح أنّ ابن بطوطة يُسند مثل هذه الأخبار إلى العامة، والعامة مولعة بتصديق الغرائب والأكاذيب.

غير أنّ مثل هذه الأخبار، إذا ما تعلّقت بإعجاز ديني، فإنّ ابن بطوطة يسلّم بها بسهولة، كما هو الشأن - مثلا - بالنسبة للوليّ: أبي عبد الله المرشدي، الذي يعطي كلّ من يزوره ما يشتهيه من الفاكهة في غير أوانها، فهذا أمر من الخوارق التي تستحيل في العادة إلاّ بحصول أسباب خفية مسكوت عنها، كأن يأتيه بها من زاره من الأقاليم الأخرى، حيث تختلف مواسمهم في الفاكهة مع مصر، إلا أنّ ابن بطوطة يورد الخبر بشكل تأكيدي، وكأنّه يسلّم بها تسليما.

وينطلق (ابن بطوطة) في حكاياته بواسطة فعل السماع "سمعت"، "ذُكر لي"، "يُحكى"، أو فعل الرؤية "رأيت"، وفي الحالتين يقوم بالتعليق عما ينقله، إمّا بالصمت الموهم بالرفض أو بالقبول.

د- منحى تخييلي عجائبي: كانت بعض معروضات المتن البطوطي - وهي كثيرة - مدعاة إلى إنكار بعض العلماء، والفقهاء لها. فقد اشتهرت أخبار أسفاره بين الناس، خاصة ما كان يذكره من غرائب الأمصار التي زارها، وعجيب المشاهدات التي ما فتئ يتندّر بها في مجالسه. لذلك نجد (ابن خلدون) ينكر بعض أخبار هذه الرحلة في كتابه "العبر"، فيقول:

".. ورد بالمغرب، في عهد السلطان (أبي عنان)، من ملوك بني مرين، رجل من مشيخة "طنجة"، يعرف بابن بطوطة، كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق، وتقلّب في بلاد العراق واليمن والهند، ودخل مدينة دهلي [دلهي]، حاضرة ملك الهند، وهو السلطان "محمد شاه"، واتّصل بملكها لذلك العهد، وهو "فيروز جوه"، وكان له منه مكان. استعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله، ثم انقلب إلى المغرب، واتصل بالسلطان أبي عنان، وكان يحدّث عن شأن رحلته، وما رأى من العجائب بممالك الأرض، وأكثر ما كان يحدّث عن دولة صاحب الهند، ويأتي من أحواله بما يستغربه السامعون ... فتناجى الناس بتكذيبه. ولقيت أيامئذ وزير السلطان: "فارس بن ودرار"، البعيد الصيت، ففاوضته في هذا الشأن، وأريته إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه. فقال لي الوزير فارس: "إياك أن تستنكر مثل هذا من أحوال الدول بما أنّك لم تره..." (خلدون، 2010)

بل نجد (ابن خلدون) ينكر عجائبية ابن بطوطة، بل ينكر العجائبي مطلقا، محاولا تقديم تفسير نفسي يستند إلى العلمية والموضوعية، فنجده يعلّل هذا المنحى التخييلي بقوله:

".. لهذا، كثيرا ما يعتري الناس في الأخبار كما يعتريهم الوسواس في الزيادة عند قصد الإغراب ... فليرجع الإنسان إلى أصوله، وليكن مهيمنا على نفسه، مميّزا بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله، ومستقيم فطرته، فما دخل في نطاق الإمكان، قبله، وما خرج عنه، رفضه، وليس مُرادنا الإمكانَ العقلي المطلق؛ فإنّ نطاقه أوسع شيء، فلا يفرض حدا بين الواقعات، وإنما مرادنا الإمكان بحسب المادة التي للشيء، فإنّا إذا نظرنا أصل الشيء، وجنسه، وصنفه، ومقدار عظمه وقوته، أجرينا الحكم من نسبة ذلك على أحواله، وحكمنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه.." (خلدون، 2010، صفحة 227)

وبينما وصفه بعض الفقهاء المتأخرين بالكذب، رأى فيه أغلب المستشرقين الرحالة - ممن جاءوا بعده - صورة للأمانة العلمية، فأطلقوا عليه اسم (الرحّالة الأمين)، و(أمير الرحّالة العرب)، بفعل دقة ما نقله من مشاهدات عن عادات الشعوب، وأسرار الأمم.. على أنّ الأبرز في الكتاب: تلك المشاهد "الأكزوتيكية"، التي لا تخلو من دهشة شعورية، ومشهديّة أخّاذة التصوير.. مزجت المتعة بالمنفعة، وجعلت من رحلة (ابن بطوطة) واحدة من كلاسيكيات أدب الرحلات في العالم.

4- أبعاد في الرحلة والتفاعلات النصية:

إنّ السمة الفنية، التي تتكرّر في كلّ فصول رحلة ابن بطوطة، تكمن في: الوصف السريع للأمكنة، والانطباع الشخصي عمن قابل من الرجال؛ فليس هناك من هدف آخر إلا تحقيق ذلك، مع سرد ما أمكن من مفارقات وطرائف الرحلة، إذ لم تحقّق الرحلة أيّ كشف جغرافي غير معروف في ذلك الحين.

لكن أهمية الرحلة تكمن - حسب علماء الإنسان والاجتماع - في قيمتها الانثروبولوجية؛ ففيها رصد لكثير من عادات الشعوب، وتقاليدها، التي لا يهتم بها التاريخ السياسي عادة. أين يظهر ولع ابن بطوطة بذكر الغريب من كرامات الأولياء

والدراويش، من الذين لقيهم في رحلته. فجاءت رسالته حافلة بنزعة أسطورية أخّاذة، أعطت لخياله العنان في تمثّل الكثير من مفارقات الأحداث.

ومن الملاحظ أنّ ابن بطوطة يسرد الأخبار بطريقة توحي بيقينه التام بصحتها، وأنّه كان لا يعرج إلى الأخبار المشبوهة، إذا ما عاين الصورة، على الرغم من أنّها تدخل في إطار العجائبي.. فإذا ما شكّ في خبر من الأخبار، يطبعه بطابع الزعم؛ بقوله: "زعموا.."، وهذا بعض أمانة النقل عنده.

ظروف كتابة النص البطوطي:

وعلى الرغم من أنّ هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد الذي يرد في مفهرسات المؤلفات العربية لابن بطوطة، إلاّ أنّه لم ينجز تدوينه بنفسه، إذ هو حصيلة مشاهدات رصدها في أثناء تجواله، وترحاله، وقد رواها لـ (ابن عنان) المريني، سلطان (فاس)، وأحد ملوك الدولة المرينية في المغرب، حين استقرّ عنده، فإذا بالسلطان يأمر كاتبه (محمد بن جزي الكلبي) بتدوين هذه التجربة الثريّة في كتاب سماه: "تحفة النظّار، في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار".

وقد نشر الكتاب لأول مرة في باريس عام 1853، مع ترجمة فرنسية أنجزها المستشرقَان: الفرنسي (فرانسوا ديفريمري)، والإيطالي (سان جينيتي) (مظلوم، 2006)

5- الفواعل في رحلة ابن بطوطة:

لقد كان من وراء إنجاز مشروع رحلة (ابن بطوطة) أعلام فاعلون ثلاثة هم: السلطان المريني، وكاتبه، ورحّالتنا:

أ- السلطان أبو عنان المريني (ت. 759 هـ - 1358 م): وهو أبو عنان بن أبي الحسن بن أبي سعيد بن يعقوب بن عبد الحق مؤسس دولة بني مرين؛ صاحب المجالس العلمية التي كانت أشبه ما تكون بدور الحكمة بالأمس أو بالأكاديميات اليوم، وهو السلطان الذي صدر منه أمر انتساخ رحلة ابن بطوطة، وجعلها في متناول القراء، بالرغم مما ظهر من بعض معاصري الرحالة المغربي، من أمثال ابن خلدون الذين شككوا في مصداقية الرحلة

ب- الكاتب أحمد بن جزي (ت.721هـ - 1321م): وهو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي. اجتمع بابن بطوطة في غرناطة، واستمتع

بأخبار رحلته، وقيّد عنه أسماء الأعلام الذين لقيّهم في الرحلة. كان في خدمة أبي الحجاج يوسف بن الأحمر النصري، ملك غرناطة، ثم التحق بالمغرب، حيث خدم السلطان أبا عنان المريني.

وعند ما قرّر السلطان (أبو عنان) استنساخ رحلة ابن بطوطة، لم يجد في مجلسه أفضل من الكاتب (ابن جزي)، صاحب الخط الرفيع البديع، سيّما وأنه قام بالخطوات الأولى، وهو في غرناطة، وهكذا، كُتب لـ (ابن جزي) أن يخلّد اسمه إلى جوار ابن بطوطة، على الرغم من سنّه، التي لم تتجاوز ستّا وثلاثين سنة (بطوطة، 1997)

ج- الرحالة ابن بطوطة (ت. 777هـ / 1377م): وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي الطنجي. ويعتبر ثالث ثلاثة رفعوا اسم المغرب العربي عاليا بعد (ابن رشد) و(ابن خلدون)؛ إذ كان أكبر رحالة في التاريخ البشري كله. ولد بطنجة يوم الاثنين 17 رجب 703هـ - 24 فبراير 1304م، ثم يمسى - بعد عودته من رحلاته إلى المغرب - من جلساء السلطان (أبي عنان)، الذي أصدر أمرا لكاتبه (ابن جزيّ) بتدوين رحلته قبل أن يتقلّد هذا الأخير منصب قاضي إقليم "تامسنا".

1-1-6- ميتا – نصية الرحلة:

عند الكلام عن البنية (الحكائية / السردية) لرحلة ابن بطوطة، لا بدّ من التركيز على دور ابن جزي، وعلاقة المباشرة الفاعلة في ميلاد المنجز البطوطي؛ فقد تولّى هذا الكاتب تحديد دوره في هذا المنجز الرحْلي، عبر خطابه المقدماتي للمتن، وهو بيان أساسيّ، وجب تثبيت ملفوظه - مع طوله - لأهميته. يقول ابن جزي:

".. وصدر الأمر العالي لعبد مقامهم الكريم، المنقطع إلى بابهم، المتشرّف بخدمة جنابهم، محمد بن محمد بن جزي الكلبي - أعانه الله على خدمتهم، وأوزعه شكر نعمتهم - بأن يضم أطراف ما أملاه الشيخ أبو عبد الله، من ذلك في تصنيف يكون على فوائده مشتملا، ولنيل مقاصده مكمّلا، متوخيا تنقيح الكلام وتهذيبه، معتمدا إيضاحه وتقريبه، ليقع الاستمتاع بتلك الطّرف (...). ونقلت معاني كلام الشيخ أبي عبد الله بألفاظ موفية للمقاصد التي قصدها، موضّحة للمناحي التي اعتمدها، وربما

أوردت لفظه على وضعه، فلم أخلّ بأصله ولا فرعه، وأوردت جميع ما قيده من الحكايات والأخبار، ولم أتعرض للبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار، على أنه سلك في إسناد صحاحها أقوم المسالك، وخرج عن عهدة سائرها بما يشعر من الألفاظ بذلك، وقيّدت المشكل من أسماء المواضع والرجال بالشكل والنقط، ليكون أبلغ في التصحيح والضبط، وشرحت ما أمكنني شرحه من الأسماء الأعجمية؛ لأنها تلتبس بعجمتها على الناس، ويخطئ في فك معمّاها معهود القياس، وأنا أرجو أن يقع ما قصدته من المقام.." (بطوطة، 1997، صفحة 152)

لقد تشكّل نص الرحلة البطوطية (بطوطة، 1997، صفحة 149) عبر مستويات ثلاثة:

أ- مستوى الإملاء (السلطان): ".. ونفذت الإشارة الكريمة بأن يمليَ ما شهده في رحلته.." [الرحلة: 1/ 152]

ب- مستوى التقييد (الرحالة): "وكان الفراغ من تقييدها في ثالث ذي الحجة عام ستّة وخمسين وسبع مائة.." [الرحلة: 6/ 280]

ج- مستوى التلخيص (الكاتب): "قال ابن جزي: انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ أبي عبد الله بن بطوطة أكرمه الله.." [الرحلة: 6/ 280]

وعلى أساس هذه المستويات، نكون أمام اعتبارين اثنين:

أ- اعتبار رحلة ابن بطوطة (ميتا- حكائيا)، يكون قد اشترك فيه صاحب الرحلة (ابن بطوطة)، بوصفه الفاعل المباشر، ثم كاتب الرحلة (ابن جزي)، بحكم إضافاته، التي قد تؤثر على بنية المتن الرحلي، وفق ما تحدّده استراتجيته في خطبة الكتاب.

ب- اعتبار رحلة ابن بطوطة (مبنى حكائيا)، تتجلّى فيه سردية (ابن جزي) المباشرة، كونه المدوّن والمتصرّف والمنظّم، إلى جانب سردية الرحالة (ابن بطوطة)، التي لا يمكن إلغاؤها، كونها الصوت الرحليّ الأول.

لكن هناك اعتبارا ثالثا لا يمكن إغفاله، وهو (ميتا- نصية) هذه الرحلة، من خلال ما يقوم به كاتب الرحلة (ابن جزي) من تعليقات، وشروحات معجمية، مما يجعله نصا (واصفا)، يعزّزه الطابع (التناصي)، الذي أعلن عنه الكاتب، وتؤطّره قصديته الواضحة، من خلال خطبة الكتاب (الرحلة)، ممثلة في المرسل، بموجب "الأمر السلطاني"؛ الباعث إلى عملية التدوين، عن طريق توجهين صدرا عنه، هما:

أ- توجيه يتعلّق بابن بطوطة، الذي سيملي رحلته على ابن جزي، اعتمادا على مشاهداته، ومحفوظاته؛

ب- توجيه يتعلق بابن جزي، ومسار عملية التدوين، القائمة على تقييد هذه الإملاءات، وتنسيقها، وتصنيفها.

ومن هنا، فإنّ مهمة "التقييد"، التي سوف يضطلع بها (ابن جزي)، قد توحى بأنّ دور هذا الكاتب مقتصر على عملية التدوين، عبر تقنية التصفيف والتصنيف، غير أن (ابن جزي) سوف يرسم استراتيجية هذه الكتابة؛ المؤسسة على غايتين هما: الفائدة والمتعة، وقد امتلك الكفاية المعرفية والأدائية، بوصفه صاحب خبرة في الكتابة السلطانية (الديوانية)، وصاحب براعة إنشائية، وفطنة وذكاء تليق بشخص مقرّب لدى السلطان المريني.

لقد أشار ابن جزي إلى عمليات أربع تقوم عليها تقنية الإملاء:

أ- نقل معاني الرحالة (ابن بطوطة) بلغته الخاصة؛

ب- تقييد الأخبار دون الوقوف على حقيقتها أو إبداء موقف من صدقيتها؛

ج- تقييد ما غمض من أسماء الأعلام والأماكن بالضبط والتشكيل؛

د- شرح الأسماء الأعجمية، وتقريبها إلى المتلقي.

غير أنّ مثل هذه العمليات الإجرائية قد تحمل خطورتها، خاصة مع الوظيفة (الأولى)، وبعض الخطورة مع الوظيفة (الرابعة)، مما قد يحمل إلى فرضية استنتاجية هي: "إنّ التقييد يشكل النص الكامل والتام للرحلة، والتلخيص يشكّل نصا ثانيا للرحلة نفسها، ما دام يختلف عن التقييد في معطيات كثيرة؛ لأنّه غيره، ومن هنا، يظلّ السؤال التالي واردا: أين هو نص الرحلة الأصلي؟" (الحداوي، 1999)

6- أدبية الرحلة وتشكلات النصية

لما كان السفر قاسما مشتركا بين نصوص أدبية وغير أدبية سردية وغير سردية، فإنّ هذا العنصر – السفر – في الرحلة يتحول إلى بنية مهيمنة، عوض أن يظل مكونا من المكونات البنائية في نص معين.

وتحول السفر إلى بنية جعل منها بنية متحكمة كما سبقت الإشارة في باقي البنى من جهة، وهي من جهة أخرى بنية مفرزة لخصائص نوعية ميّزت الرحلة عن باقي محكيات السفر.

وعلى هذا الأساس أنتجت هذه البنية السرد الموضعي أو الموقعي Toponymique والفهرسة، الدليل، الاستباق والاستلحاق، الحكاية الريّة والحكاية البحرية / السارد الجوّال/ المحطّات السردية/ الأسلوب التعليمي ... الخ.

وبالإضافة إلى هذا وذلك شكّلت الرحلة نصّا مهجّنا بالمعنى الباخْتيني – بامتياز، حيث التقت فيها الأصوات واللغات، وتحاورت، عبر مستوياتها، المرويات والخطابات وتداخلت فيها ثنائيات عديدة مثل الشفهي والمكتوب، المرسوم والمسند، المركزي والهامشي، حكاية المرسل وحكاية المرسل إليه، طاب المؤسسة وخطاب المتخيل، الشاعر، طوبوغرافية المهندس (المساح) وتقاليد الكتابة المخزنية، اللهجي والفصيح، الكتابة الديوانية، أو المعجم اليومي، الأسلوب التأليفي والصياغة المتحررة، إنه نص التعايش السردي إذا صحّ التعبير.

وعلى هذا الأساس كان الرحالة يحمل أثناء رحلته مكانه (فضاءه) الأليف لتفسير الأماكن غير الأليفة التي طرحت عليه العديد من الأسئلة والكثير من التحديات، ومنها تحديات الكتابة، الكتابة عن شيء يراه لأول وهلة أولا، ولا مرجعية له –معجما- ثانيا، وقد لا نبالغ في القول إذا اعتبرنا الرحلة في هذه الفترة نصّا واقعيا فارق النص الفقهي والبلاغي –دون إحداث قطيعة نهائية – السائد – وفي حالة مرور الرحالة بالمكان الذي مرّ به كل آت من فج عميق (الحج مثلا) فإن تجربة الارتحال تختلف من رحّالة إلى آخر، ومن ذات إلى أخرى.

نتائج البحث:

- لفت الاهتمام لهذا المتن الخصب من جهة، وإعادة الاعتبار من جهة ثانية لطبيعته السردية، خاصة أن المنظور النقدي السائد جعل من الرحلة ملحقا بعلوم عديدة (جغرافية، تاريخ، أدب، المسالك والممالك ... الخ) جاعلا منه أدبا من الدرجة الثانية، في حين جسّد أصل الكتابة وجوهرها في الماضي والحاضر.

إن النص الرحلي بمساراته الأنواعية وتعدد خطاباته وفق نمطية السفر والحس الواقعي والتجربة والأوصاف الخاصة بالأمكنة والوقائع يجعل منه تعبيرا لصيقا

بالإنسان، ومتجذرا في التاريخ، وفي الثقافة الشفوية التي تنمو بين أحضان العامة والخاصة، ووسط تعبيرات سائدة ومهيمنة: الحكايات الشعبية، السير، التراجم، أدب المناقب، أدب القيامة، والمسالك والتاريخ والجغرافية الوصفية ... تكتسب باعتبارها تجارب شخصية في إطار جمعي قدرة الشفوي وانصهاره ثم التحويل وآلياته إلى المكتوب.

وقد خضع بناء النص الرحلي لمسيرة طويلة من أجل التشكيل والتجنس وتحولت الرحلة من فعل إلى نص وإبداع يستقطب تعددا وتنوعا بمكونات وخصوصيات تكررت بحسب النوع ودرجات الاهتمام والوعي بالكتابة، والرحلة العربية وهي فعل ومتخيل قديم ارتبط بالإنسان وبأحلامه، وبمجازفاته في سبيل البحث عن الذات.

قائمة المراجع:

الحداوي, ا .(1999) .*في معنى القراءة)قراءات في تلقي النص* .الدار البيضاء :دار الثقافة للنشر والتوزيع.

الخطيب, ل .ا .(1424) .*الإحاطة في أخبار غرناطة* .بيروت :دار الكتب العلمية.

الغيطاني, ج .(2011) .*مقاصد الأسفار* .القاهرة :دار نهضة مصر للنشر.

بطوطة, ا .(1997) .*رحلة ابن بطوطة* .المغرب :مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

خلدون, ا .(2010) .*كتاب العبر* .بيروت :دار الفكر.

مظلوم, م .(2006) .ابن بطوطة ورحلاته، من" :مختارات من تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ."*إصدارات منظمة اليونسكو*.(97)